

لا اعرف كيف تهبأخزنة ان تكون نادبة موتى وماشطة عرائس في آن واحد . ولكنني سمعت عنها الكثير من امي وصديقاتها قبل ان اتبح لي ان اراها لأول مرة حين مات جار لنا . كان انساناً امتصته العلل قبل ان يبلغ الخمسين ، لذا لم تكن وفاته مفاجأة حين نادت احدي جارتنا على امي وقالت غير حزينة : « حوالينا ولا علينا يا ام حسن .. فلان اعطاك عمره .. »

وثار في احساس بانني سأقضي يوماً ملوناً عنيف الاثارات ، ولم اكره هذا ، فهذه فرصة انتهبها جوار آل الميت لنا ، فأنتسل مع صبيان الحارة وبناتها بفضول كبير لتأمل وجه المائت الشمعي ، ونرى كيف تبكيه زوجه وبناته ، وكيف تصفق النوادب تصفيقاً موقعاً وهن يمددن اقولاً محفوظه .

ووضعت يدي في يد صديقة صغيرة ، واستطعنا معاً ان نتسلل من بين الارجل لنقف غير بعيد من الباب حيث كان اطفال كثيرون جاؤوا مثلنا يتعرفون على أموت ويلهون الاثارات . ولم يتفرقوا الا حين نحتبهم قبضة كبيرة كانت قبضة خزنة التي وقفت بقامتها الطويلة المريضة فسدت الباب ، وفي اقل من لحظة لبست وجهاً منفعلاً ، ومدت اصابعها فحلت جديلتها واخرجت من جيبيها عصابة سوداء شددت بها جبهتها ، ثم اطلقت صرخة منكرة انقبض لها قلبي الصغير ، وشقت بعدها طريقها بين النسوة الى حيث قام في الزاوية اثناء به نيل مسيح مسحت بجائنه وجهها ويديها ، فبدأ كوجوه الساهر التي يملقها الباعة في المواسم ، وعادت فوقت فوق رأس المائت ، واطاقت صيحة اخرى وراحت تضرب صدرها بقسوة وعنق وتدير لسانها

بكلام موقع تردده النسوة بعدها ، وقد مسحت من عيونهن دموع غزيرة .. فكأن خزنة لا تندب بصراخها ذلك الميت وحده بل تبكي موتى البلدة واحداً واحداً ، تحرك في هذه حسرتها على زوج وفي تلك على ابن او اخ .. فلا تمود تدري من من النسوة أم المائت او زوجها او اخته .. فاذا ما فترن بمد ان يأخذ منهن الجهد قامت خزنة تمدد عدداً خاصاً حزينا تنبته بصرخة عظيمة ، فاذا الدموع تنفجر والنشيج يشتد واللوعة تقوى ، وخزنة في هذا كله مركز الثقل ، لسان لا يكمل وصوت كصوت اليوم وقدرة على اصطناع الاسى غريبة ، فبقدر الجهد يكون الثواب ، واثابة خزنة على حزنها العظيم لا يكون بغير مبلغ يجرك فيها رصيذاً من اللوعة لا ينفد قط ..

وما ازال اذكر كيف قامت خزنة حين اتى الرجال بمملون المائت الى نمشه الحشبي ترجوم ان يتفرقوا بالغالي وان يشفقوا فلا يمجولوا في قطع صلاته بهذه الدنيا حتى اذا دفنها رجل ضاق بثرثرتها عنه وحمل ورفاقه المائت عنوة ، وارتفعت المناذيل السوداء مودعة وتقاطرت تواضي النسوة ، فهذه تحمله سلاماً للزوج وتلك للوالدة .. قامت خزنة تملأ الحي زعيماً تميز بين عشرات الصيحات حتى اذا ابتعد الموكب ومشى المشيعون وتبدأ بالنمش الذي يتراقص على خشبته طربوش الفقيد ، وآن للنساء ان يستترحن قليلا من هذا الحزن الذي اخذن به نفوسهن ودعين الى مائدة قامت في احدي

الغرف يصين منها بعض الطعام ، كانت خزنة اسبقين الى غسل وجهها ورفع كميتها وحشو فمها الكبير بكل ما تصل اليه يدها .. وما فاتني ان ألخذ ، وانا بين الصغار المتسللين ، كيف كانت تدس شيئاً في صدرها حتى اذا احست ان هناك من تلاحظها ابتسمت باعياء وقالت :

- بعض شيء تأكله بني مسعودة . فقد نزل علي الخبر قبل ان اعد لها ما تأكله ... واكل طعام الزماء بعد ، ثواب !

يومها عرفت ان خزنة ليدت امرأة كالنساء .. وانا ضرورة الموت قبل المائت ، ولم انس قط فمها الكبير وقبضتها الخفيفة ، وشعرها الجمعد المسترسل ، فقد كنت كلما سمعت بانسان يموت اسمي ورفيقي الى بيته ، لا يدقني الا فضولي في ان اري شيئاً مثيراً يتحدث به الى امي ان لم تكن قد سمعت هي ايضاً ، فبصرفني منظر خزنة عن وجه المائت وتظل عيناها في حركة دائبة اتأمل يدها وهي تنتقل من صدرها الى وجهها الى رأسها في ضربات عنيفة تبدولي مع هذا الكلام الملحن الذي تقوله ايقاعاً خاصاً يغور جراح الاهل ويحسس الوافدين بالحسرة ..

ومرت مدة قبل ان يتاح لي ان اشهد عرساً ، فأرى خزنة واكذب عيني .. الشعر الجمعد الاسود نفسه ولكنه مسرح مزين بالمشهور .. والوجه القبيح ذاته ولكن المساحيق جعلت منه وجهاً لا يشبه الوجهه المصوغ بالنيل ، وبدت لي عيناها اكثر اتساعاً بذلك الكحل الذي أحاطتها به ، وكانت يداها مثقلتين بالاساور

( من قال إن تجارة الموت غير رابحة ؟ ) وكان فمها يفتتح على قهقهات ولا ينطبق الا نصف انطباقه حين تدير قطعة لبان كبيرة بين اسنانه الصفراء . وعرفت يومها ان لخزنة مع العرائس كما مع الموتى شأناً ،

فهمتها تبدأ مع صبيحة يوم العرس ، تصقل العروس بمقود السكر وترجج حاجبيها وهي تعرفها همساً - او بكلام تخاله همساً - بواجباتها الجنسية ، فاذا احمر وجه الفتاة حياء قامت هذه تسخر منها بضحك مغمور ، وتطمئنها الى ان لياتين او ثلاثاً تجمل منها استاذة ، وهي الكفيلة بهذا اذا حرصت على ان تستعمل لجسمها الصابون المطر ولرأسها دهنوناً تستحضرها من المطار او تشتريها من خزنة نفسها ، فاذا ما جاء المساء وتوافدت النسوة معطرات مشكلات وتخلقن حول العروس الجالسة الى التختروان قامت زغاريد خزنة تمزق سماء البلدة ، وكانت لها في حلقة الرقص مواقف شهودة ، تدور وهي تمازح النسوة بنكات بذيئة تثير ضحكتهن ، فاذا ما جاء العريس ليأخذ عروسه بين غمزات النساء ، وقامت خزنة بزفها الى باب الغرفة ، ظل لها عليها حق الناطور ولم افهم بسهولة لماذا تخرض خزنة على الوقوف بباب العروسين تنتظر بفضول وعصبية شيئاً ، فان جاءت الاشارة بمد انتظار قصير او طويل اطلقت زغرودة مشهودة ينظرها اهل العروس بنافذ صبر . فان سمعوا قتل الرجال شباتهم وأعلوا من اطرافها وقامت النسوة قومة واحدة فاذا كل فم زغرودة تنتشي فيها الكبرياء فتتصرف خزنة راضية العين والنفس والفم والجيب يلاحقها دعاء النسوة بأن تفرح من مسعودة . وفرحة مسعودة شيء تتطلع له خزنة وتخشد من اجله الاساور والدخيرة ، فمن لها غير هذه النية يؤول اليها كل مالمتة من المأتم والافراح ؟ ولم تشأ السهاء ان تفرح خزنة .

## دموع للبيعه

### قصة

#### بقلم الآنسة سميرة عزام

# انطلاق

لشاعرة عزيزة هارون

وهذي الفيود بدري وأي قيود لقلبي

وقلبي يضمّ الوجود

وهذا الهوى كأنطلاق العبير يثير

يسير ويأبى الركود

أطير بهذا الفضاء الرحيب وأي حبيب يطير معي

ويهتف في مسمعي ان اعود

أعود الى أين يا صاحبي لأي مكان

وليس لقلبي زمان = وليس لروحي حدود

أعود الى الأرض لان أعود

وماذا يهتك من عودتي وأنت رفيقي في رحلتي

رأيت السموات في وحدتي وهيات نفسي لسراخلود

وحلمي اني أراه وابصر فيه الآلة

تنور قلبي رؤاه فتصبح روحي صلاه

وانسى الوجود

عزيزة

دمشق

كان صيفاً لا انساه تطوعت جرائم التيفويد لتجعل منه موسماً لحزنه  
ولا كالواسم ، كانت لا تطلع شمس بلا مائت وقيل بان خزنة بكت في  
يوم واحد ثلاثة زبائن ..

ولم يرحم التيفويد مسعودة حين تسائل الى اعمائها كما لم يشفق عليها  
الموت حين آثرها رغم نذور خزنة .

واستيقظ الناس في بلدي على نبأ وفاة الصغيرة وبدأ فضولهم حيث  
انتهت هذه المسكينة كيف ستبكي خزنة ابنتها بكاء لم تعرفه البواكي  
ماذا ستمدد لها بلوعة الحسران .. اي مآتم ستقوم له الحارة وتعمد ؟

ولم استطع ان اغالب فضولي ورتائي معاً ، فحملت نفسي اليها ، قصديتها  
مع افواج النساء اللواتي انطلقن يرددن لها بعض دينها ...

لم تكن العرفة الوحيدة لتسع لاكثر من عشرين جلسن وظلت الباقيات  
واقفات عند الباب . وتطلعت من فوق الرؤوس الى وجه خزنة ابنت  
عنه بعد ان اقتعدت صوتها . ولدهشتي لم اجدها تبكي .. كانت ساكنة  
واجمة وهي تفتش الارض في ركن العرفة .. لم تمصب رأسها بالسواد  
ولم تصبغ وجهها ولم تلطم خدماً او تمزق ثوباً ...

لاول مرة رأيتني امام وجه انسانة لا تفعل الاحساس افعلالا .. كان  
وجه متألم تكاد تموت من المها ..

كأبة خرساء .. كأبة لا يعرفها الا الذين يحسنون الحزن . ويحسون  
الفجعة . وحاول بعض النسوة ان يبكين ، ان يصحن فظرت اليهن  
بذهول وكأنها تستنكر هذه النظاهرات فسكتن وقد اخذهن الاستنكار  
والعجب ؛ وحين اتى الناس ليحملوا جسد الصغيرة ، جسد الخلوقة  
الوحيدة التي اتاحت لها ان تمارس احساساتها بلا نفاق ، لم تصرخ خزنة  
ولم تشق ثوبها . بل نظرت اليهم بعيون تأتمة ومثت وراءهم كالذاهلة وهم  
يقصدون المسجد فالجبانة .. وهناك لم تفعل اكثر من ان القت رأسها الى التراب  
الذي استودع الجسد الصغير وراحته ساعات لا يعلم الله مداها ..

وعاد الناس ممن المآتم ليقولوا في خزنة اشياء .. بعضهم قال انها  
جنت حتى بدت كالمقلاء ، وقالوا لم يعد لديها دموع تبكي بها بعد ان  
استنفدت المآتم كالم يمدم المآتم من قال « خزنة لم تبك لانها لم  
تقبض . !! »

وقليلون قليلون هم الذين ادركوا ان خزنة لم تعرف الحزن الا حين  
لم يعد لديها دموع ، ولم تعد تاجرة .

سميرة عزام

صدر حديثاً

جني الثمار

قصائد شعرية انسانية لشاعرة الهند العظيم

رابندرانات طاغور

عربها بأسلوب مشرق

الدكتور بديع حفي

الشمس ليرة لبنانية وربيع